

الشباب وتيارات المجتمع

موسى نيافة الأنبا

لاشك أن سمات كل مجتمع تختلف عن غيره من المجتمعات، بل أن سمات ذات المجتمع تتغير كل فترة، وقد كانت هذه الفترة طويلة نوعاً فيما مضى، أما الآن فالمجتمع يتغير بسرعة مذهلة كل بضعة سنوات، وقد تعود الكتاب على اعتبار كل عشرة سنوات حقبة محددة، يدرسونها ويحددون تياراتها فيقولون: "عالم الخمسينات" و "عالم الستينات" و "عالم السبعينات" وهكذا. والحقيقة أننا نلاحظ في الخدمة نفس معدلات التغيير التي نلاحظها في العالم، وفي مصر مثلاً نستطيع أن نقول: أن "الخمسينات" كانت ثورة، و "الستينات" كانت نكسة و "السبعينات" كانت انتصارات، تحاول مسح آثار النكسة بجهد جهيد بالحرب والسلام، ولعل أفضل شعار يجب أن نرفعه على مصر "الثمانينات" هو شعار العمل والإنتاج، في سلام إجتماعي، ووحدة وطنية، لمواجهة مجاهل السياسة والصراع، في عالم الثمانينات، الذي بدأ بالتحدي السوفيتي في أفغانستان، والعطش الرهيب إلى البترول، مما سيجعل من منطقتنا بؤرة مستمرة للصراعات في الفترة المقبلة. ولاشك أن الشاب والشابة يتأثران بما يدور حولهما من أحداث، فهذه الصراعات تعكس نفسها على الحياة البيئية والخاصة، إذ تلتهب أسعار السلع تماماً، كما تعكس نفسها على مستوى الدول إذ تشذ طاقاتها للتسلح والحروب المتوقعة، مع انخفاض في معدلات التنمية المرجوة، والشباب الآن يشعر بصعوبة الزواج، بسبب تضائل المرتبات بالنسبة لأسعار السلع، والمسكن (إن وجدت)، والأثاث، والتقاليد البالية التي عفا عليها الزمن إذ أننا لا نواجه هذا التغيير بتطوير حياتنا وأثاثنا بالصورة المناسبة. وبالطبع فإن هذه الظروف تعكس آثارها على نفسيات الجيل الصاعد، والشباب المتطلع إلى الحياة، بل أنها تحدث آثاراً مدمرة على أخلاقيات الناس نتيجة التوتر العصبي، وعزوف الشبان عن الزواج، وتأخر زواج الفتيات... الخ. وهكذا بدأ الشباب يشعر بثقل المسألة المادية ويوليها اهتماماً ضخماً، بعد أن كانت مسألة يسيرة لا تشغله كثيراً عن اهتمامات الروح والأبدية، ولاشك أنه من العسير أن ننتظر من الناس "أن يزدادوا في كل عمل صالح" قبل أن "يكون لهم الكفاف في كل شيء".

وهنا تكمن مهمة الكنيسة في زوايا مختلفة مثل :

1- **دعوة الشباب إلى الهدوء النفسى :** والثقة فى الله القادر أن يصنع معهم المعجزات وبيبارك لهم حتى فى القليل، فحياتنا بيده، وصحتنا من عنده، وجهادنا يحتاج إلى ختم بركته، هذه حقائق اختبارية أكيدة وليست مجرد كلمات إنشائية.

2- **دعوة الشباب إلى العمل والكفاح :** داخل وخارج مصر دون تكلؤ أو كسل "فأى عمل شريف لا يبد أن يكون مقدساً بالصلاة والكلمة"، "ومن لا يشتغل لا يأكل أيضاً" (2تس 3:10). يجب أن يخرج الجيل الجديد عن قوالب "الميرى" و "الشهادات والباقات المنشأة"، ليعمل فى جد وبساطة وتواضع، ناسياً أن قيمة الإنسان بماله وحسبه ومركزه ومنظره، ومتذكراً أن قيمة الإنسان الحقيقية تكمن فى سعادته بالله وإسعاده للآخرين.

3- **التوجيه المستمر لشبابنا قبل خروجه من الوطن إلى أرض الغربية :** فهناك ضغوط جبارة واغراءات كثيرة: مادية وإيمانية وسلوكية، يجب أن نجهز شبابنا لهذه التحديات حتى يحتفظ بعشرتة مع المسيح، وإرتباطه بالكنيسة، وشعبه بالإنجيل فى أرض الغربية، وأن نحذره من أن يتعود ممارسة خطايا وإنحرافات معينة، تحيط به هناك بسهولة، كالخطايا الجنسية وشرب الخمر وغير ذلك.

4- **المتابعة المستمرة لشبابنا وهو فى أرض الاغتراب :** سواء من كنيسته المحلية بالخطابات أو الزيارات، أو من كنيستنا القبطية فى المهجر، فلاشك أن هذه الرابطة تعطيه إحساساً بالإنتماء، وتبنى حياته فى الخط السليم، وتحميه من إنحرافات كثيرة.

5- **أما بخصوص المهاجرين :** فيجب أن تواصل الكنيسة جهودنا بنفس الحماس، ونحن نشكر الله من أجل التزايد المذهل فى عدد كنايسنا بالخارج، ومن أجل العمل المبارك للأباء الكهنة والرهبان، فى رعايتهم المستمرة والساهرة، لأبناء الكنيسة هناك.

6- **نحتاج أن نصدر العديد من الكتب الصغيرة، وأن نناقش الشباب فى إجتماعاتهم معنا فى التيارات التى تحيط بهم محاولة أن نعرفهم مثل :**

أ- تيار الإباحية : الذى بدأ يستبد بالناس فى الغرب، وليته أشبعهم أو أراحهم!! أنهم يشربون ويطعمونه من ماء مالح، ويطعمون أنفسهم من خرنوب الخنازير، وهيهات أن يشبعوا!! إن الإباحية خطر رهيب على الفرد والأسرة والمجتمع، وهى تعبير عن إنطلاق الغرائز لتقود الإنسان، عوض أن يقوده الله أو حتى العقل والضمير، والملاحظة السريعة عندما نشهد إعلانات أفلام السينما، تؤكد هذا الخطر: وهو الإثارة المستمرة للغريزة فى شعب مكدود ومتوتر.

ب- تيار العنف : لاشك أن الصراعات الدولية عكست على الإنسان توتراً داخلياً، بحيث ارتفعت حرارة انفعالاته، فأصبح يحاول أن يحل مشاكله عن طريق العنف، وهذا هبوط غريزى آخر من مستوى الحق والمنطق إلى مستوى سفلى، وليت العنف ينفع!! أنه يولد المزيد من العنف!! وهكذا يشتعل الإنسان بنار الحقد والكراهية والتعصب الأعمى، تقوده غريزة المقاتلة بدل أن يقوده الإله المحب والمنطق الهادئ.

ج- التيارات الفكرية : يرى الشاب من حوله، ويقراً عن الماركسية بإلحادها الدموى، والوجودية بإلحادها العملى، والعبث بإلحاده الفكرى.. ويجب أن يسمع رداً من الكنيسة على هذه التيارات جميعاً، والحمد لله أن الله يترك كل تيار فيها ليعبر عن نفسه، وعن فشله فى خدمة الإنسان وإسعاده، فالشيوعية تعبد المادة بدل الله، وتطحن الشعوب تحت قدميها فى استعمار رهيب تجاوز كل أنواع الإستعمار السابقة فى بشاعته، والوجودية الملحدة التى دعا إليها سارتر انتهت إلى لا شئ. فالله ليس عدواً للإنسان كما يتوهم ذلك المسكين، بل الإنسان عدو نفسه حين يخرج من دائرة الله. والعبث الذى يدعو الناس إلى الإعتراف بأنهم لا يدرون شيئاً ضيائه، هبطت أسهمه التى نشرها صموئيل بيكيت وأنسكو وغيرهما حيث أن المذهب يلقي الإنسان فى ضياع وظلمة.

ويكفى كدليل على فساد هذه التيارات الأقوال البسيطة التالية لمفكرها الأساسيين :

1. " هذه الحياة تستحق الانتحار، ولكنى لا أفضل ذلك" (ألبير كامى - وجودى ملحد)
2. "الجحيم هو الآخرون" .. (سارتر - وجودى ملحد)

3. "هذا الوجود بلا جدوى وزائد عن الحاجة" .. (سارتر)
4. "الإنسان يخرج من ظلمة الرحم، إلى ظلمة القبر، ماراً بظلمة الحياة" .. (صموئيل بيكيت - عبثي)
5. "الإنسان يولد ويعذب ثم يموت" .. (فولتير) وهكذا يبقى إنجيل المسيح نوراً للعالم، إذ يشرح للإنسان محبة الله الفائقة، وتجسده العجيب، وفدائه المذهل، وحنانه الجبار، ونعمته المخلصة لجميع الناس، وملكوته الأبدى الذى نحياه منذ الآن "ها ملكوت الله داخلكم" (لو 21:17).

د- الضغوط الإيمانية : قد يحس الشاب بضغوط إيمانية وتساؤلات تحتاج إلى:

1. الرعاية الكنسية الفردية والعائلية للجميع فى كل مكان.
2. التدعيم الروحى لأن من يختبر عمل المسيح الفائق لا يحتاج إلى أسانيد فكرية ونظرية كثيرة.
3. التدعيم الفكرى والعقيدى لأساسيات الإيمان المسيحى بالإجتماعات والكتب المناسبة.
4. التوعية المستمرة بضرورة السلوك بمحبة مع الجميع، حفظاً لسلامنا الإجتماعى ووحدة الوطنية، فالحب يبنى والكرهية تهدم.